

وفي حزيران ١٩٣٨ قررت القيادة البريطانية تكليف العناصر اليهودية هذه بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد التي تسفها الثوار العرب مرارا ، وقد أرسلت ٢٤ عنصرًا لتنفيذ هذه المهمة، إلا أنه بعد ستة شهور فقط نجح رجال الوكالة اليهودية في رفع هذا العدد الى ٨٠٠ . أن هذا التطور لم يخدم فقط عملية بناء القوة الصهيونية العسكرية ، بل ساعد أيضا على امتصاص وتوظيف اعداد كبيرة من العمال اليهود العاطلين عن العمل والذين كانت اعدادهم تتزايد باضطراد في المدن ، وهكذا جرى تحويل هذه البروليتاريا نحو العمل في مؤسسات القمع ، ليس فقط في مشاريع الامن البريطانية المضادة للثورة ولكن أيضا في القوة العسكرية الصهيونية الصاعدة .

كانت أسس الجهاز العسكري الصهيوني ترسى برعاية البريطانيين ، وإذا كانت القوة اليهودية قد كلفت بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد ، فقد جرى تكليفها بحماية خط انابيب النفط في سهل بيسان ، الذي كان قد بني حديثا (١٩٣٤) لنقل الزيت من كركوك الى حيفا والذي نسنه الثوار العرب عدة مرات . ولعل قبة ذلك بالذات ، هنا ، قبة رمزية مثيرة للدهشة : ان الثوار العرب الذين أدركوا قيمة هذا النفط بالنسبة للمستغل البريطاني قد نسفوا الانبوب لأول مرة في ١٥ تموز ١٩٣٦ قرب اربد ، وبعد ذلك جرى نسفه عدة مرات قرب قرية كوكب الهوا ومحطة اسرائيل واكسال وبين العفولة وبيسان ، وفي تل عدس ، والبيرة ، وارض المريج ، وتبرة ، وكتر مصر ، وجسر الجامع ، وجنجر وبيسان وعين دور . وقد عجز البريطانيون عن حماية هذا الخط الحيوي واعترفوا بهذا العجز عدة مرات ، وفي الوقت نفسه دخلت « الماسورة » كما كان يسميها الفلاحون العرب في صلب النولكلور الذي يمدد البطولات الشعبية . وعلى أي حال ، فقد توصل البريطانيون الى تأمين حد أدنى من الحماية للانابيب هذه عن طريقين : اعطوا لعصابات اليهود مهمة حمايتها في الداخل ، اما في الاراضي الاردنية فقد أوكلوا مهمة حراستها الى « الشيخ تركي بن زين ، رئيس فخذ الزين من عشيرة بني سخر ، وقد خولته الشركة حق التجوال في الصحراء باية واسطة كانت » (١٠٩) .

ان هذا الامر مهم للغاية ، ذلك ان هذا الحادث بالذات عزز القناعات البريطانية بأن انشاء قوة

ضاربة يهودية يحل الكثير من الاشكالات بالنسبة لحماية المصالح الامبريالية عموما . ان بن غوريون يكاد يكشف هذه الحقيقة ببساطة لا حد لها حين يتحدث عن الجهد البريطاني في انشاء قوة يهودية مسلحة مهمتها حماية هذه المصالح . وفي هذا المجال لعب الضابط البريطاني شارلز اورد وينغيت دورا بارزا في ترجمة التحالف البريطاني - الصهيوني الى واقع عملي ، وبالرغم من ان المؤرخين الصهاينة يحاولون الايحاء وكان جهد وينغيت كان نتيجة مزاج شخصي وولاء « مثالي » ، الا انه من الواضح ان ضابط الاستخبارات هذا ، الذي ارسله رؤساؤه الى حيفا في خريف ١٩٣٧ ، كان مكلفا بمهمة محددة وهي انشاء النواة الضاربة للقوة اليهودية المسلحة التي كانت موجودة قبل ذلك بستة شهور على الاقل ولكن التي كانت تحتاج الى بلورة واعداد . وقد جعل هذا الضابط البريطاني ، الذي يعتبره العسكريون الاسرائيليون المؤسس الفعلي للجيش الاسرائيلي ، مسألة حماية انبوب النفط همة الاساسي . الا ان هذه المهمة كانت مدخلا لسلسلة عمليات ارهاب وقتل اخذ هذا الضابط على عاتقه مهمة تعليم تلامذته في عين دور - ومن بينهم دايان - اجادتها . ولا شك ان وينغيت كان يتسلح بالاضافة لكتائمه كضابط استعماري متمرس ، بكرهية عنصرية غير محدودة للعرب ، ويبدو من سيرة حياته كما أرخها الذين عملوا معه انه كان يجد متعة في قتل الفلاحين العرب او تعذيبهم او ممارسة اي شكل من اشكال الاحتقار لهم (١١٠) . وتؤكد دراسة لاميل توما عن كتاب لبيجال آلون حول هذا الموضوع ان وينغيت وشرادمه كانوا يساعدون القوات البريطانية على ارهاب السكان العرب في الريف خلال ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ . وبواسطة رجال مستعمرين من طراز وينغيت ، وقادة رجعيين من طراز الامير عبدالله وافراد طبقتة الحاكمة ، كان البريطانيون يهيئون للحركة الصهيونية فرصة ان تصبح عسكريا واقتصاديا المخفر الامامي الذي يحمي مصالحهم ، وكان ذلك كله يجري من خلال قناعة هؤلاء جميعا بان قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ليست في حالة من الثورية تؤهلها للوقوف في وجه هؤلاء الاعداء المتكافئين . لقد اهتدى البريطانيون في وقت مبكر الى الاستراتيجية التي اطلق عليها الاميركيون بعد ذلك بثلاثين سنة اسم « الفيتنة » . ووسط